

الخطبة الخامسة والثمانون

(إن الله إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه) (صحيح الجامع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل عملي خالصاً في سبيلك وتقبله مني يا أرحم الراحمين. أما بعد:

أولاً - الله سبحانه وتعالى له أسماء وصفات وأفعال، فأسمائه هي صفاته، وصفاته هي أسمائه، والصفات والأسماء يجب أن تكون مقرونة بدليل صحيح، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية؛ أي: أنه لا بد من دليل من الله سبحانه وتعالى أو من رسوله عليه الصلاة والسلام حتى تثبت هذا الاسم أو هذه الصفة لله جل جلاله، هذه قاعدة.

ثانياً - أفعاله سبحانه وتعالى قسمان:

1. قسم يشتق منه صفة أو اسم، مثل: (الخالق) وفعله خلق ويخلق، ومثاله أيضاً: (الرحمن)، لأنه يرحم عباده وهكذا.
2. وقسم من أفعاله سبحانه، لا يشتق منه صفة أو اسم، وذلك لأنه لم يرد هذا الاشتقاق من الله سبحانه أو من رسوله عليه الصلاة والسلام، أي: إنه مع كونه فعلاً من أفعاله سبحانه وتعالى أثبتته لنفسه وذكره في كتابه، لكن لا ينبغي أن يشتق من هذا الفعل اسم أو صفة، لأن الله سبحانه لم يثبت هذا الاسم وهذه الصفة من هذا الفعل، وإذا نحن اشتققنا -بسبب جهلنا بالقواعد- اسماً أو صفة فنكون قد خالفنا القاعدة التي اتفقنا عليها وهي أن أسماء وصفاته توقيفية يلزمها نص ثابت، والأمثلة كثيرة على هذه الأفعال التي لم يشتق منها أسماء، ولا ينبغي لنا أن نشق منها أسماء، وإذا فعلنا فسنكون قد خالفنا وسميناه سبحانه بما لم يسم هو نفسه ولا رسوله ﷺ:

1. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: 8/30]، قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾، هذا فعل ولا يشتق منه اسم، والمكر من البشر، أي الخديعة والإيقاع بالناس وأذاهم، وهذا ذم، أما المكر بالنسبة لله تعالى فهي صفة مدح لأنه سبحانه وتعالى عاقبهم بما يستحقون، وعاقبهم من محض فعلهم وهذا تمام العدل والحكمة، والله خير من عاقب وخير من جازى. وحيث أن المعنى سليم، والقصد نبيل وعادل إلا أن الله سبحانه ورسوله ﷺ لم يجعل هذا الفعل اسماً أو صفة.

2. رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلِئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلِئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدَتْ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» رواه البخاري (6502).

فأثبت سبحانه فعل التردد، والتردد بالنسبة للبشر معناه: شك في فعل الشيء وعدمه، ويكون التردد البشري ناتج عن الجهل وعدم المعرفة، فأنا أتردد عن فعل شيء ما؛ لأنني لا أعلم أهو خير لي في مستقبلي أم هو شر وضار لي ولمصلحتي أو لمنفعتي؟ فالتردد البشري صفة نقص، أما التردد الإلهي فهو تردد محمود لأنه فيه الشفقة والرحمة بالعبد المؤمن، لأن الله سبحانه يكره مساءة العبد المؤمن لأن العبد بجبلته يكره الموت فهذا تردد كمال وحب ورحمة وشفقة، وتردد رعاية للعبد المؤمن وحفاظ على شعوره، ورحمة ورأفة به، ولا يشتق من هذا الفعل اسم أو صفة.

ثالثاً - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابْتِغَاءَهُمْ فَبَطَّوهُمْ وَقِيلَ أَعْدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 9/46]، قوله: (كِرَةٌ) أثبت

وبعد هذه المقدمة الطويلة أريد أن أبحث في الأمور التي تضحك الرب سبحانه وتعالى. ففي مسند الإمام أحمد بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله سبحانه وتعالى ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يضحك من رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلهما الله عز وجل الجنة، قيل: وكيف يكون ذلك؟ قال: يكون أحدهما كافراً فيقتل الآخر، ثم يُسلم فيغزو في سبيل الله فيُقتل» رواه أحمد.

وعن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يضحك الله يوم القيامة إليهم: الرجل إذا قام من الليل يصلي، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال» مسند أبي يعلى الموصلي، وعن نعيم بن همار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه» رواه أحمد وصحيح الجامع.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه، فإما يُقتل وإما ينصره الله ويكفيه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه. والذي له امرأة حسناء وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذره شهوته ويذكرني ولو شاء لرقد. والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام في السحر في ضراء وسراء» الطبراني.

وعن أبي رزين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره. قال: قلت: يا رسول الله أو يضحك الرب؟ قال عليه الصلاة والسلام: نعم، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً» رواه ابن ماجه (181). (ضحك ربنا من قنوط عباده): القنوط هو أشد اليأس ودخوله على قلوب العباد، وقوله: (وقرب غيره) الواو بمعنى: مع، فيصبح المعنى: (مع قرب تغييره) أي: أن الله يضحك من يأس عباده مع أن الله سبحانه سوف يغير

هذا الحال إلى حال أحسن منه، أو إلى حال غيرها؛ لأن الله سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، ومعنى آخر، أن الله سبحانه يضحك من يأس عباده لعلمه سبحانه بأن الفرج قريب، وأن شدتكم سوف تزول، وقوله: «لن نعدم من رب يضحك خيراً» أي: أننا لن نفقد الخير من رب كريم يضحك. وقال السندي: أي: أننا لن نفقد الخير من رب يضحك، كلما احتجنا إلى خير وجدناه، فالله كريم معطاء ولا حدود ولا نهاية لعطائه وفضله سبحانه وتعالى»، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً» السلسلة الصحيحة.

فيكون مما سبق أن الله سبحانه وتعالى يضحك:

1. للشهداء.
2. وللذين يقاتلون في سبيله.
3. ويضحك الله سبحانه وتعالى للذي يقوم الليل يصلي ويناجي ربه ويسأله ويتضرع إليه.
4. ويضحك الله سبحانه وتعالى للمسافر إذا قام الليل وهو تعب مُجهد.
5. ويضحك الله سبحانه وتعالى لمن حضر الجماعة ووقف في الصف للصلاة. ما أكرمك يا رب وأعظمك وأرحمك، فأنا أستطيع أن يضحك لي ربي خمس مرات في اليوم إذا واطبت على صلاة الجماعة في المسجد، الحمد لله على هذا الكرم. وكما ذكرت في الحديث الصحيح: «إن الله إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه» صحيح الجامع، أفلا تقف بين يديه حامداً شاكرًا مُعظماً لنعمته ورحمته وكرمه، خاشعاً متضرعاً مُفكراً بعظم الثواب والأجر؟
6. ويضحك الله سبحانه وتعالى لمن وقف في الصف للقتال، وهذا لا يعني أنه يقتل أو يُقتل وإنما جهز نفسه دفاعاً عن دينه وأهله وأرضه، وهل يدخل ضمن هذا من دافع عن دينه بلسانه وقلمه، أو دائماً في الصف جاهزاً لرد الشبهات وردّ الأباطيل عن هذا الدين، وتنقيحه من الضلالات التي ينشرها من لا خلاق له ولا دين له، ولا خوف عنده من الله تعالى.

7. ويضحك الله عز وجل لمن قلبه ورجاؤه متعلق بالله سبحانه وتعالى يرجو رحمته ويخاف عذابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «فذكر قول الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة فيقول: يا ربي لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو ويسأله حتى يضحك الله منه فيدخله الجنة» حسن صحيح كتاب السنة الألباني، وقال أهل العلم عن هذا: إنه من الموحدين وإنه خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أي: من الذين ظلموا أنفسهم في الدنيا، ولكنه كان يستغفر ويتضرع ويتوسل إلى ربه في الدنيا، ورجاؤه وقلبه معلق بالله تعالى، فلما كان هذا حاله في الدنيا ألهمه الله تعالى الدعاء والسؤال في الآخرة - والله أعلم - ونعوذ بالله أن نقول على الله ما لا يرضيه، وأن نقول على رسوله ﷺ ما لا يرضيه.

8. ورجل أكرم ضيفاً أو أطعم مسكيناً، أو أثر بالخير غيره على نفسه وأهله، ودليل هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث رسول الله ﷺ إلى نسائه؛ أي: إذا كان عندهن طعام لهذا الرجل، فقلن: ما معنا إلا الماء»، فقال رسول الله ﷺ: «من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق بالضيف إلى امرأته فقال لها: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلوا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين»، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 59 / 9]، رواه البخاري، (طاويين) أي: جائعين. فهذا الإيثار، وإدخال السرور على قلب أخيك المسلم، وستر عورته، وتلبية حاجته، وسد فاقته وعوزة، وإطعامه ومساعدته، إخلاصاً لله ومحبة لله، وطمعاً بمرضاة الله، واحتساباً للأجر عند الله، وإيماناً بوعده الله وبوعده رسوله

عليه الصلاة والسلام، كل هذا مما يرضي الله سبحانه وتعالى، وبمثل هذه الأمور تُسْتَجَلِبُ رحمة الله سبحانه وتعالى لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ ﴾ ﴿٤٧﴾

[الأنبياء: 21 / 47].

9. ذُكِرَ اللهُ عز وجل ودليله: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُرْدِفَهُ على دابته فلما استوى كَبَّرَ رسول الله ﷺ ثلاثاً، وحمَدَ اللهُ ثلاثاً، وسبَحَ ثلاثاً وهلَل اللهُ واحدة، ثم استلقى عليه فضحك، ثم أقبل عليّ فقال ﷺ: «ما من امرئ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله تبارك وتعالى فضحك إليه كما ضحكت إليك» رواه أحمد، وهذا الحديث يبين عظمة ذكر الله ويبين أن التسييح والتحميد والتكبير والتهليل مما يحبه الله تعالى ويثيب عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لعباده: سبحان الله وبحمده). السلسلة الصحيحة (1498).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أو تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شاني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين». السلسلة الصحيحة (227).

وعن الزبير بن العوام مرفوعاً: (من أحب أن تُسرّه صحيفته (أي: يوم القيامة)، فليكثر فيها من الاستغفار). السلسلة الصحيحة (2299).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق ثم طبع بطابع، فلم يُكسر إلى يوم القيامة». السلسلة الصحيحة (2333)، (يُكسر) أي: لم يُفتح إلى يوم القيامة.

عن سعيد بن عمير الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات». السلسلة الصحيحة (2880).

وعن معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الأحلاص: 1 / 112] حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة» فقال عمر رضي الله عنه: «نستكثر قصوراً يا رسول الله ﷺ، فقال: الله أكثر وأطيب» السلسلة الصحيحة (589) فيا عبد الله إذا أردت الله أن يضحك لك ويرضى عليك ويرحمك فعليك بالإكثار من هذه الخصال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

